حالا . اما ان يطلب من جيش صغير مثل جيش لبنان ان يواجه اسرائيل وحده فهذه خيانة وطنية. اني متأكد ان أي قتال جدي بين لبنان واسرائيل سيؤدي الى احتلال المطار والمرفأ وتدميرهما ، كما سيؤدي الى احتلال المناطق التي تريدها اسرائيل من جنوب لبنان . فكفى مكابرة وبهورة ، وعلينا ان نقيس الامور بميزان العقل» (النهار ٧٣/٤/١٢)

فلنترك سعيد المحاورات بين رجال السياسة ولننظر الى الامور نظرة عسكرية ذات محتوى سياسي — استراتيجي . ان الوضع العسكري اللبناني ، والجمود العسكري العربي يدفعنا لان نقول :

١ — هناك خطأ يقع على عاتق الجيش وسلطات الامن الداخلي في مجال رصد وكشف التحركات الاسرائيلية الجوية والبحرية ، والانذار بوقوع الهجوم .

٢ — كانت قوى الامن الموجودة في المدينة (ثكنات او دوريات آلية) قادرة على الاشتراك في مجابهة المعتدين ومطاردتهم والحاق الخسائر بهم داخل المدينة وخارجها . ولقد قامت دورية من الفرقة ١٦ بالاشتباك وتكبدت عددا من الخسائر . ولكننا لا ندري حتى الان لماذا لم يكن التدخل اوسع نطاقا . وليس لدينا من المعلومات ما يفسر ذلك .

٣ — كانت قوات الجيش البرية قادرة على التدخل بفاعلية في المجابهة والمطاردة خلال الليل على الاقل نظرا لضعف فاعلية الطيران ضدها ليلا . ولكنها لم تتدخل . وتقول النشرة الاعلامية رقم ٧٣/١ المذكورة سابقا ان سبب عدم التدخل يرجع الى ان الجيش لم يتأكد من ان الحادث يتعدى حدود الاحداث الداخلية وتقوم به قوات معادية الا في الساعة ١٤٥٠ اي بعد انتهاء الحادث في شارع فردان بعشرين دقيقة . وانه ارسل الدوريات الى فردان والشاطىء ولكن العدو كان قد انسحب. واذا كان الامر كذلك ، فان الجيش غير مسؤول عن الصد . ولكن مسألة المطاردة تبقى مطروحة على بساط البحث . واذا كانت المطاردة البرية متعذرة نظرا للتأخر بالتبليغ وطلب التدخل ، فان المطاردة الجوية والبحرية بقيت ممكنة بعد ذلك . واغلب الظن ان عدم تدخل القوات المسلحة في هذه المطاردة ، رغم ما تتسم بهذه القوات من جرأة وحمية وطنية،ترجع الى وقوعها تحت تأثيرات الردع بشكل كامل شلها وجعلها تقف متفرجة على المجرمين وهم يتسللون من بين اصابعها وتحت انظارها دون ان تبادر الى القيام بأي اجراء مضاد.

هنا لا بد لنا من ذكر نقطتين بالنسبة للقوات المسلحة . نقطة لها ونقطة عليها . اما النقطة التي لها فهي ان القوات المسلحة (اليد الضاربة) تنفذ دائما خطط السياسة (الروح والعقل) ، ضمن حدود الامكانات الموضوعة تحت تصرفها . ولقد دابت الاوضاع السياسية اللبنانية والعربية بصورة عامة منذ حرب ١٩٤٨ حتى الان الى وضع القوات المسلحة في موقف استراتيجي غير ملائم ، يؤدي الى شللها الاستراتيجي وهزيمتها على مسرح المعارك تكتيكيا وعملياتيا . وليس ذنب الجيش ان سياسة البلد الدفاعية جعلت حجمه وتسليحه وميزان القوى في غير صالحه لدرجة تجعله امام احتمالين : فاما ان يحجم عن القتال بتأثير الردع ، او يقبل المعركة الانتحارية ويتلقى الموت بشرف .

ان التاريخ المعاصر لم يعرف حالة تم فيها ردع الطرف الاضعف بسبب اختلال ميزان القوى سوى حالة تشيكوسلوفاكيا عندما احتلتها قوات حلف وارسو لمنعها من السقوط في احضان الغرب. وها هي لبنان تقدم لنا حالة ثانية مشابهة من زاوية الردع فقط مع وجود اختلافات كبيرة وجوهرية بين المثالين بالنسبة لمعطيات الموضوع الاخرى . ولكن التاريخ المعاصر نفسه قدم لنا دولة بولونيا كمثل رائع لدولة قررت قواتها المسلحة — وحجمها بالنسبة لحجم القوات النازية كحجم قوات لبنان بالنسبة للجيش الاسرائيلي — الاشتراك في حرب يائسة تنهزم فيها بشرف بدلا من الشلل والاستسلام امام قوة الردع . ولماذا نذهب بعيدا وقد قدم لنا الجيش اللبناني نفسه في معركة ١٦ — ١٩٧٢/٩/١٧ مثلا حيا لو انه تكرر في ليلة ٩ — ١٩٧٣/٤/١٠ وخلق ملحمة تنير سبيل الاجيال المقبلة .

ان الحساب قبل المعركة وخلالها امر عقلاني لا بد منه ، ولكن ما ان يتعرض امن الوطن وسلامته لخطر داهم حتى يصبح الحساب عملا اضافيا وترفا لا محل له . ويغدو اندفاع القوات المسلحة نحو الموت شرفا لها ومبررا تاريخيا لوجودها .

٤ — كانت قوات المقاومة الاحتياطية ووحدات الكفاح المسلح الفلسطيني قادرة على التدخل خلال المطاردة ، ولكن قوى الامن منعتها بالقوة ، واصابت قائدها المقدم خالد بجروح في رأسه (بيان الاحزاب والقوى التقدمية اللبنانية .

استثمار النصر : ما أن نفذ العدو هدفه العسكري